﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ [الأعراف: 197]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المناسبةُ بين كونِ اللهِ يتوَلَّى رسولَهُ والصّالحين، وأنَّ سواهُ لا ينصُرُ نفسَهُ ولا غيرَهُ

بعد ما بيَّن لهم أنَّ ناصرَهُ وظهيرَهُ هو اللّهُ وحده، قرَّرَ لهم أنَّ ما عداه ممّا يعبدونه من دونِ اللّه، أو ينادونهُ لدفع الضُّرِّ أو جلب النَّفع لا يستطيعون نصرَكم في أيِّ أمرٍ من الأمور، ولا ينصرون أنفسَهم إذا ما اعتدى عليهم أحدٌ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَدۡعُونَ﴾: الدُّعاءُ: هو أنْ تُميلَ الشَّيْءَ إلَيْكَ بصَوْتٍ وكَلامٍ يَكونُ مِنكَ، تَقولُ: دَعَوْتُ أدْعو دُعاءً، ودَعَوْتُهُ؛ إذا سألْتَهُ، وإذا استغثْتَهُ[1].

2) ﴿نَصۡرَكُمۡ﴾: المعنى المحوريُّ: الإمدادُ بما فيه زيادةٌ مناسبةٌ وقوَّة: كما تمدُّ النَّواصرُ الأوديةَ والتِّلاعَ بالماء، وكما يمدُّ الغيثُ الأرضَ، والعطاء، ومنه جاءتِ النُّصْرةُ - بالضَّمِّ: حُسْنُ المعونةِ وإعانةُ المظلوم، ونَصَرَ اللّه المُسْلِمينَ: آتاهُمُ الظَّفَرَ على عَدوِّهم، يَنْصُرُهُم نَصْرًا، وانْتَصَرَ: انْتَقَمَ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ أنَّ الأصنامَ المعبودةَ من دونِ اللهِ، لا تستطيعُ نصرَ نفسِها ولا غيرها

أي: وإنَّ من تدعونهم لنصْركم وجلْبِ النَّفعِ لكم ودفعِ الضُّرِّ عنكم عاجزون، فلا هم بالمستطيعين نصْرَكم ولا نصْرَ أنفسِهم[3]، وهذا تأكيدٌ بأنَّ هذه الأصنامَ أعجزُ من أن تنصر أحدًا، وأضعفُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (دعو).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (نصر).
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 145/9.

من أن تعينَ من يستنصرُ بها؛ لأنَّها لا تستطيعُ نفع نفسِها، ولا ضرَّ غيرِها.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ (الواوِ) في قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾:

شتّانَ بين ولايةِ اللهِ النّاجزةِ، وقوَّةِ الأصنامِ العاجزةِ

الواوُ عاطفةٌ على ما قبلَها، وهذا أيضًا أمرٌ مِنَ اللهِ جلَّ ثناؤه لنبيِّه ﷺ أن يقولَه للمشركين، أي: قل لهم: إنَّ اللهَ نصيري وظهيري، والَّذين تدعون - أنتم أيُّها المشركون - من دونِ اللهِ من الآلهة، لا يستطيعون نصرَكم، ولا هم مع عجزهم عن نصرتِكم يقدرون على نصرةِ أنفسِهم، فأيُّ هذين أولى بالعبادة وأحقُّ بالألوهيَّة؟ مَنْ ينصرُ وليَّه، ويمنعُ نفسه ممَّن أراده، أم منْ لا يستطيعُ نصر وليِّه، ويعجزُ عن منْعِ نفسهِ ممَّن أرادهُ وبَغاه بمكروه؟[1].

دلالةُ الاسمِ الموصولِ:

ورودُ الموصولِ مبتدأً يُلْفِتُ إلى شدَّةِ عجْزِ الأصنامِ عن نفعِ أو ضرٍّ

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾، اسمُ الموصولِ في محلِّ رفْعٍ على الابتداء، والخبرُ ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ﴾[2]، ودلالةُ الابتداء به في صدر الجملةِ المعطوفةِ على ما قبلَها؛ لفْتُ الانتباه إلى عجزِهم عن دفعِ الضُّرِّ عن أنفسِهم، فضلًا عن الدِّفاع عن غيرِهم.

نكتةُ استعمالِ اسمِ الموصولِ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾:

خروجُ الموصولِ عن معهودِ دلالتِهِ من بابِ الاستمالةِ والإقناع

(الَّذين) للعاقل، وتُستعمل في غيرِهِ لتنزيلِهِ منزلةَ العاقل[3]، وقد استُعملت هنا في غير العاقل: الأصنام وآلهتهم المزعومة، اعتدادًا بظاهرِ صنيع هؤلاءِ المشركينِ من دعاء الأصنام وعبادتهم، وهذا من قبيل استمالة الخصمِ، وإرخاءِ العِنان له في المجاراة؛ ليعثر

(1) ابن جرير، جامع البيان: 223/13.
(2) النّحاس، إعراب النّحاس: 85/2.
(3) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 182/8.

حيث يرادُ تبكيته، وإجراء الكلام مع الخصم على سَنَنٍ يبعث للمُنصِف أن يتفكَّرَ فيه، ويُذْعن للحقِّ.

إيثارُ الفعلِ ﴿تَدْعُونَ﴾ دونَ مرادفاتِه:

يطلقُ الدُّعاء ويرادُ به العبادةَ، وهو في الأصلِ: النِّداءُ، وهو قسمان: عاديٌّ، وعباديٌّ، فما وجَّهه الدّاعي إلى مثلِه من طلبٍ يقدر المدعوُّ على إجابتِه، بمقتضى الأسبابِ العاديَّةِ؛ فهو دعاءٌ عاديٌّ، وما وجَّهه إلى من يعتقد أنَّ له قدرةً أو سلطانًا غيبيًّا فوق الأسباب العاديَّةِ؛ فهو العبادة، سواءٌ أكان المدعوُّ يستجيبُ له بقدرتِه الذّاتيَّةِ أم بتأثيره وشفاعتِه، ووساطته عند ذي القدرةِ الذّاتيَّةِ، والأوَّلُ دعاءُ الموحِّدين لا يتوجَّهون فيه إلّا إلى ربِّهم وحدَه، والثّاني دعاء المشركين الَّذين يتوجَّهون به إلى آلهتِهم[1]، وإيثارُ الفعلِ﴿تَدْعُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ لأنَّ إنكارَ صنيعِهم في دعاء الأصنام، يدلُّ على شدَّة إنكارِ عبادتهم من بابٍ أولى؛ إذ إنَّ خلوَّ الخطابِ من لفظ (العبادة) إشارةٌ إلى عدم تصوُّر وقوعِها لغيرِ اللّهِ تعالى.

إذا كان دعاءُ ما يُعْبدُ مِنْ دون اللهِ حرامًا، فعبادتُهُ آكدُ في الحرمة

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ:

أوثِر التَّعبيرُ بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾، وبالإضافةِ إلى ما يفيدُه المضارعُ من معنى التَّجدُّدِ والاستمرار الكائن في دعائِهم الأصنام، وعكوفِهم على هذه الحالةِ مدَّة طويلة، فيه معنى تقبيحِ الصّورة بعد استحضارها، فما أعظم غباءَ من يدعون أصنامًا، وعدمُ استحقاقها للدُّعاء والعبادة ظاهرٌ وجليٌّ لكلِّ ذي عينين!

الإصرارُ على دعاءِ الأصنامِ الجامدةِ من مظاهرِ العبادةِ الفاسدةِ

بلاغةُ حذْفِ المفعولِ به:

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ حُذِف المفعول به، إجراء

(1) محمّد بشير الهنديّ، صيانة الإنسان عن وسوسة الشّيخ دحلان، ص: 435.

للفعلِ المتعدّي إجراء اللازم، للدَّلالة على التَّعجُّبِ من فعلِهم، وغضِّ الطَّرف عن أصنامهم، أو أنَّ حَذْفَ المفعولِ لإفادةِ بطلانِ عمومِ ما يُدْعَى من دونِ اللّه تعالى، وعدمِ استحقاقِه للذِّكْر، فضلًا عن العبادةِ.

بطلانُ جميعِ ما يُدْعَى من دونِ اللهِ تنزيهٌ لله عن عبادةِ ما سواه

فائدةُ الجارِّ والمجرورِ في قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾:

قولُهُ: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾، تفيد المجاوزةَ عن عبادة اللّه، حالٌ من الفاعل في (تدعون)، أي: تدعون حال كونكم مجاوِزينَ اللّه، وهو خطاب للمشركين لبيان الحقِّ الَّذي يرفضونه، ولتثبيت القول في نفوسهم، وترسيخ الحقِّ في قلوبهم، ليخرج منها الوهمُ الَّذي عبَّر عنه المولى بأنَّه دعاءٌ من دونه، واللّه يريدنا أن نرفعَ الهمَّةَ لعبادةِ الأعلى، لا عبادةِ من هو دونَهُ.

دعوةُ المعبوداتِ من دونِ اللهِ تفيدُ مجاوزتَهم عبادةَ اللهِ

السِّرُّ في كلمةِ ﴿دُونِهِۦ﴾:

عدلَ عن (غيره)؛ لِأنَّ غَيْرًا تَقَعُ على المُغايِر في جِنْسٍ أو في صِفَةٍ، فتَقولُ: اشْتَرَيْتُ ثَوْبًا وغَيْرَهُ، فيُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ ثَوْبًا، ويُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ غَيْرَ ثَوْبٍ، وقَلَّ مَنْ يَعْرِفُ هذا الفَرْقَ[1]، فأوثرَ التَّعبيرُ بـ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ للدَّلالةِ على تجاوزهم الحدَّ في عبادةِ غيرِ اللّه تعالى، مع عدمِ وجود أدنى شبَهٍ بين المعبودِ بحقٍّ وبين آلهتهم، أي: حالة كونكم مجاوزين اللّه، فإنَّ معنى (دونِ) أدنى مكانٍ من الشَّيءِ، ثمَّ استعير للتَّفاوت في الأحوالِ والرُّتب، ثم اتُّسع فيه؛ فاستعمل في كلِّ من تجاوز حدًّا إلى حدٍّ، وتخطَّى حكمًا إلى حكم[2].

الدَّلالةُ على تجاوزِهم الحدَّ، مع عدمِ وجودِ شبَهٍ بين المعبود بحقٍّ وبين آلهتِهم

فائدةُ إضافةِ كلمة (دون) إلى ضميرِ اسمِ الجلالة:

في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، أُضيفَتْ كلمةُ (دون) إلى ضميرِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 93/4.

(2) الهرريّ، تفسير حدائق الرّوح والرّيحان: 169/15.

اسمِ الجلالةِ، لبيانِ عجزِ آلهتهم بعد توكيدِ نصرةِ اللهِ وولايتِهِ لعبادِهِ الصّالحين، وفي ذينك الأمرين تجليةٌ لصفاتِ المعبود، وتحليةٌ للتَّوحيد المقصود، حيث "إنَّ دعاءكم إيّاها وعدمه سواءٌ، فهي لا تنفع ولا تضرُّ، ولا تهدي ولا تهتدي، أمّا الرَّبُّ المعبود الَّذي بيده كلُّ شيءٍ؛ فهو اللهُ"[1].

بـيـانُ تـهـافـتِ الآلهةِ المزعومةِ، بعدَ توكيدِ نصرةِ اللهِ للصّالحين

إيثارُ النَّفي بالأداة (لا) دون (ما):

في قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾، أوثرَ النَّفيُ بـ(لا)؛ لأنَّها أدلُّ على دوامِ النَّفي وطوله، وأنَّها للطّول، والمدُّ الَّذي في لفظها طال النَّفي بها وامتدَّ، وتنفي الحالَ المستمرَّ النَّفي في الاستقبال، فالإتيانُ بـ (لا) مُتَعيَّن هنا[2]، فناسبَهُ النَّفي بـ (لا) الَّتي ينفي بها المستقبل والحال، ولم ينفِ بـ (ما) الخاصَّة بالحال.

اخـتـيـارُ الأداةِ المناسبةِ من دقَّةِ السّياق القرآنيّ في التَّعبيرِ عن المعاني

سرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ دون مرادفاتِه:

أوثرَ التَّعْبيرُ بالفعل ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ لأنَّ الاستطاعةَ أخصُّ من القدرة، فنفيُها نفيٌ للقدرة، فليس في طاقتهم ذلك، أي: ليس لديهم استشعارُ القدرة، ولا يتأتَّى منهم عملٌ، وسيأتي الفرقُ بين الاستطاعةِ والقدرةِ.

نفيُ الاستطاعةِ نـفـيٌ لـلـقـدرةِ، ولا يـكـون نفي الـقـدرة نـفـيًا للاستطاعة

دلالةُ صيغةِ المضارعِ:

في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾، صيغةُ المضارعِ تفيدُ الاستمرارَ التجدُّديَّ عند أهل المعاني، وصيغةُ الاستفعال للإشعار بعجزهم عن ذلك، ودخول النَّفي عليه يدلُّ على استمرارِ النَّفي، وفيه إشارةٌ إلى زيادة التَّهكم والتَّوبيخ لما هم عليه من عبادة الأصنام.

الفعلُ المضارعُ مـكـرَّسٌ لـلاسـتـمـرارِ الـتَّـجـدُّديِّ، والإشـعـارِ بعجزِهم

سرُّ العدولِ عن صيغة (لا ينصرونكم) إلى ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾:

نفيُ استطاعةِ نصرِهم أبلغُ من نفي نصرهم وهي من البيانِ

(1) إبراهيم القطّان، تيسير التّفسير: 94/2.
(2) ابن قيّم الجوزيّة، بدائع الفوائد: 242/1.

المستوعب للدَّلالةِ؛ إذْ لا طاقة لهم على ذلك، ولو بمثقال ذرَّةٍ، ولا بوجهٍ من وجوه النُّصرة[1]، ويدخل في ذلك، الأمرُ المذكور دخولًا أوَّليًّا[2].

نفيُ الاستطاعةِ نفيٌ لما عداها

نكتةُ إضافةِ (نصر) إلى ضميرِ المخاطَبين:

في قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾، أُضيفَ (نصر) إلى ضمير المخاطبين؛ لأنَّهم المعنيّون بالخطابِ لتوبيخِهم وتبكيتِهم على عبادة أصنامٍ عاجزة عن نصْرِهم في أيِّ أمرٍ من الأمور، بل هي غيرُ قادرةٍ عن فعلِ أيِّ شيءٍ، وللتَّوصُّل بالإضافةِ إلى عطفِ ما بعدَهُ عليه.

توبيخُ القرآنِ على عبادةِ الأصنامِ، دليلٌ على بشاعةِ الفعلِ

دلالةُ عطفِ جملة: ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ على ما قبلَها:

عُطِفَت جملةُ: ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ على ما قبلَها؛ للتَّرقّي في بيان عجزِ معبوداتهم من أعلى شيءٍ يطلبونه منهم: وهو نصرُهم، إلى أدنى شيءٍ: وهو نصْرُ أنفسهم، أي: ولا أنْ يَنْصُروا أَنْفُسَهُم على مَنْ يُحَقِّرُ أمْرَهُم، أو يَسْلُبُهُم شَيْئًا مِمّا وُضِعَ مِنَ الطِّيبِ أوِ الحُلِيِّ عليهم، وقد كَسَّرَ إبْراهيمُ ﷺ الأصْنامَ، فجَعَلهم جُذاذًا، فما اسْتَطاعوا أنْ يَدْفَعوهُ عَنْ أنْفُسِهم، ولا أنْ يَنْتَفِعوا منه لَها[3].

تعانقُ المعاني في الجملتين المتلاحقتين ترقٍّ في بيانِ عجزِ معبوداتهم

علَّةُ التَّكرارِ لما سبق:

قولهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾، وهذا المعنى مذكورٌ في قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ [الأعراف: 191 - 193]، فالمُرادُ منه وصْفُ الأصْنامِ بهذه الصِّفاتِ، وهذه الأشْياءُ قد صارَتْ مَذْكورَةً في الآياتِ المُتَقَدِّمَةِ، فما الفائِدَةُ في تَكْريرِها؟ قالَ الواحِديُّ: إنَّما أُعيدَ هذا المعنى؛ لِأنَّ الأوَّلَ

الأوَّلُ للتَّقْريعِ، والثّاني للفَرْقِ بين مَنْ تَجوزُ لَهُ العِبادَةُ، ومَنْ لا تَجوزُ له

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 199/8.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 136/5.
(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 443/9.

مَذْكورٌ على جِهَةِ التَّقْريعِ، وهذا مَذْكورٌ على جِهَةِ الفَرْقِ بين مَنْ تَجوزُ لَهُ العِبادَةُ، وبين مَنْ لا تَجوزُ، كَأَنَّهُ قيلَ: الإلَهُ المَعْبودُ يَجِبُ أنْ يَكونَ بحَيْثُ يَتَوَلَّى الصّالِحينَ، وهذه الأصْنامُ لَيْسَتْ كَذلك، فلا تكون صالِحَةً لِلْإلَهيَّةِ[1]. وقال ابن عطيَّة: "إنَّما كرَّر؛ لأنَّ أمْرَ الأصنام وتعظيمها كان متمكِّنًا من نفوسِ العرب في ذلك الزَّمن، ومستوليًا على عقولها؛ فأوعب القول في ذلك لطفًا من الله تعالى بهم"[2]، وقد كرَّر سبحانه هذا لمزيد التَّأكيد والتَّقرير، ولما في تكرار التَّوبيخ والتَّقريع، من الإهانةِ للمشركين والتّنقُّص بهم، وإظهارِ سخفِ عقولهم، وركاكة أحلامهم[3].

فائدةُ تقديمِ المفعولِ على الفعل:

الاختصاصُ في المعنى، والتَّشاكلُ في المبنى، من البيانِ البليغِ

في قوله: ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾، تقديمُ المفعولِ على فعلِه لإفادة الاختصاصِ، وله هنا معنى لطيفٌ، وهو أنَّهم لو كان لهم طاقةٌ وقدرةٌ على الدِّفاع؛ لدافَعوا عن أنفسهم، وهذا لم يحدث، كما أنَّ التَّقديمَ هنا من أجل المشاكلةِ لرؤوس الآي، ومراعاةِ حسن الانتظام، واتِّفاق أعجاز الكلم، فيكون في التَّقديم مراعاة لجانب اللَّفظ والمعنى جميعًا، فالاختصاص أمرٌ معنويٌّ، والتَّشاكل أمرٌ لفظيٌّ[4].

بلاغةُ جناسِ الاشتقاقِ في ﴿نَصْرَكُمْ﴾ و﴿يَنصُرُونَ﴾:

الإشارةُ إلى انتفاءِ نصْرِهم بسبب استحكام عجزِهم

مجيءُ فعلِ كلٍّ من ﴿نَصْرَكُمْ﴾ و﴿يَنصُرُونَ﴾ من مادَّة (نصر)؛ لأنَّهما يرجعان في اللَّفظ إلى أصلٍ واحد، وفيه إشارةٌ إلى انتفاءِ ذَيْنِكَ الأمْرَيْنِ (نصرهم، ونصر أنفسهم)، لانتفاء الأصل؛ إذْ إنَّهم عاجزونَ بالكليَّة، كما يبدو بديع هذا الجناس في لذَّة وقعه على السَّمع؛ لسهولتهِ وانسجامه.

(1) الواحديّ، البسيط: 536/9.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 184/6.
(3) القنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 107/5.
(4) المؤيّد بالله، الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: 37/2.

المشاكلةُ في تسميةِ دفعِ الضُّرِّ نصرًا:

بيانٌ لعجزِهم عن إيصالِ المنافعِ الوجوديَّةِ والعدميَّةِ إلى عبدتهم وإلى أنفسِهم

في قوله: ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾، أي: إذا اعتراهم حادثةٌ من الحوادث، لا يدفعونها عن أنفسهم، وإيرادُ النَّصر للمشاكلة[1]، وهو مجازٌ في لازم معناه، وهذا لتأكيد العجز والاحتياج المنافيين لاستحقاق الألوهيَّةِ، وهذا بيانٌ لعجزهم عن إيصال منفعةٍ ما من المنافع الوجوديَّةِ والعدميَّةِ، إلى عبدتهم وأنفسِهم، بعد بيانِ عجزِهم عن إيصال منفعةِ الوجود إليهم، وإلى أنفسهم[2].

نكتةُ استعمالِ صيغةِ المضارعِ:

إفادةُ استمرارِ النَّفي، والإشارةُ إلى استحضارِ الصّورةِ

في قوله: ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾، جاء الفعلُ بصيغةِ المضارع المنفيِّ، لإفادة استمرارِ النَّفي المفهومِ في قوله: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾، كما أنَّ فيه إلماحةً إلى استحضارِ صورة المضارع، وهي صورةٌ متكرِّرة، لا يكاد يمرُّ يومٌ حتَّى يشاهدوها، وهي صورةُ عجزِ الأصنام عن دفع الضُّرِّ عن أنفسِها، أيْ: "وَهُم على كَوْنِهم مَخْلوقينَ غَيْرَ خالِقينَ لِشَيْءٍ، لا يَسْتَطيعونَ لِعابِديهِم نَصْرًا على أعْدائِهم، ولا يَسْتَطيعونَ لِأنْفُسِهم نَصْرًا على مَنْ يَعْتَدي عَلَيْها بإهانَةٍ لَها، أو أخْذِ شَيْءٍ مِن طيبِها أو حُلِيِّها، كَما قالَ: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [الحجّ: 73]، أيْ: فهُم يَحْتاجونَ إلَيْكُم في تَكْريمِهم، وأنْتُم لا تَحْتاجونَ إليهم، بَلْ أنْتُمُ الَّذينَ تَدْفَعونَ عنهم، وتَنْصُرونَهُم بالنِّضالِ دونَهُمْ"[3].

علاقةُ الفاصلةِ بالسّياقِ، ونوعها:

جاءتِ الفاصلةُ قاصمةً لظهورِ المستنصرينَ بالآلهةِ العاجزةِ

في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾، جاءت الفاصلةُ فاصلةً للآية الكريمة متناسبةً مع المعنى؛ حيث إنَّ السّياق في الرَّدِّ على

(1) أبو السعّود، إرشاد العقل السّليم: 305/3.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 134/5.
(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 438/9.

هؤلاء المشركين في زعمهم أنَّ لمعبوداتهم حقًّا في العبوديَّةِ، وأنَّ لهم قوَّةً ومنَعة بهم، فكانتِ الفاصلةُ كالقاصمة؛ إذْ إنَّها نفتْ أن يكون لهم أدنى قوَّةٍ، وهذه فاصلة مُصَدَّرة؛ لتقدُّم كلمة (نصر) قبلها[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الدُّعاءُ والعبادةُ:

حلَّتِ العبادةُ محلَّ الدُّعاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: 60]، وأخبر النَّبيُّ ﷺ: «أنَّ الدُّعاءَ هو العبادة»[2] ولكن يبقى لكلِّ لفظٍ معناه الخاصُّ به، فالعبادة: اسمٌ جامع لكلِّ ما يحبُّهُ اللّه ويرضاه من الأقوال والأعمال، الظّاهرة والباطنة[3]، فهي كلُّ ما كان طاعةً للّه تعالى، أو قربة إليه، أو امتثالًا لأمره، ولا فرق بين أن يكون فعلًا أو تركًا[4]. والعبادةُ أنواعٌ كثيرة: منها الخوفُ والرَّجاء والتَّوكُّل والرَّغبة والرَّهبة، والإنابة والاستعانة والاستغاثة، فالدُّعاء لغةً: الطَّلبُ والابتهال، يقال: دعوتُ اللّه أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسُّؤال، ورغبت فيما عنده من الخيرِ، ودعا اللّه: طلبَ منه الخيرَ ورجاه منه، ودعا لفلان: طلب الخيرَ له، ودعا على فلان: طلبَ الشَّرَّ، والدُّعاء في الاصطلاح هو: "استدعاءُ العبدِ ربَّه ﷻ العنايةَ، واستمدادُه إيّاه المعونةَ"[5].

العبادةُ: اسمٌ جامعٌ لما يحبُّهُ اللّهُ ويرضاهُ، والدُّعاء: طلبُ عنايتِه ومعونتِه

الاستطاعةُ والقدرةُ:

الاستطاعةُ أخصُّ من القدرةِ، فكلُّ مستطيعٍ قادرٌ، وليس كلُّ قادرٍ بمستطيعٍ؛ لأنَّ الاستطاعةَ: اسم لمعانٍ يتمكَّن بها الفاعل ممّا يريده

الاستطاعةُ أخصُّ من القدرةِ، وكلُّ مستطيعٍ قادرٌ، وليس كلُّ قادرٍ مستطيعًا

(1) وهو أن تكون الفاصلة ذاتها متقدِّمة في الآية، وعلى هذا، فدلالة التَّصدير دلالة لفظيَّة.
(2) أخرجه البخاريّ في الأدب المفرد، برقم: (714)، والتِّرمذيّ في السنن، برقم: (2969)، وإسناده صحيح، قال الإمام النّوويّ في الأذكار: 333/1، قال التّرمذي: حديث حسن صحيح.
(3) ابن تيميّة، العبوديَّة، ص: 8.
(4) أبو يعلى، العدَّة في أصول الفقه، ص: 163.
(5) الخطّابي، شأن الدّعاء، ص: 4.

من أحداثِ الفعلِ، وهي أربعةُ أشياء: إرادته للفعلِ، وقدرته على الفعل؛ بحيثُ لا يكون له مانعٌ منه، وعلمه بالفعل، وتهيُّؤ ما يتوقَّف عليه الفعل[1]، والاستطاعةُ انقيادُ الجوارح للفعل، وقد يعبَّر بنفي الاستطاعةِ عن ثقلِ الفعل على الجارحة، كقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ [الكهف: 101]، أي: إنَّه يثقل عليهم استماع القرآن، ليس أنَّهم لا يقدرون على ذلك، وأنت تقول: لا أستطيعُ أنْ أبصر فلانًا؛ تريد أنَّ رؤيته تثقُل عليك، وجاءت الاستطاعةُ بمعنى الإجابةِ، وهو قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، أي: هل يجيبك إلى ما تسأله؟ والقدرة: هي ما أوجبَ كون القادر عليه قادرًا، ولذلك لا يوصف اللّٰهُ تعالى بأنَّه مستطيعٌ، ويوصف بأنَّه قادرٌ على كذا لكنَّه لا يريده، والإنسان يوصف بأنَّه قادرٌ على أمرٍ، ولكن يمنعه منه مانع، أو لا علم له به أن يعوزه كذا، فظهر أنَّ القدرة أعمُّ من الاستطاعة، والاستطاعةُ أخصُّ من القدرة[2].

(1) الكفويّ، الكليّات: 161/1، 47/2، والرّاغب، المفردات، ص: 461، 595.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 48.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»